عادل عزت

البيت المسكون

شِعر

الأيادي

البيت المسكون

عادل عزت

الأيادي

الكتاب : البيت المسكون

المؤلف : عادل عزت

الناشر : الأيادي للنشر والتوزيع - تليفون : 012 476 24 39

الطبعة الأولى : القاهرة 2009

رقم الإيداع بدار الكتب : 2009 / 3553

افتتاحية

إنها أُمِّي قناديلُ الليالي.

في حِماها قد عَرَفْتُ البَدْرَ والأنغامَ والنورَ ، وكان النومُ هَمْسًا في المساءِ.

أَنْجَبَتْني ثم صارت توءمًا لي ثم عاشَتْ في ظِلالي.

كنتُ أعمَى وبصيرًا لا أَرَى أشواقَها إلا قليلاً ، وهْيَ لا تُخْفِي وتُخْفِي حُبَّها حينَ تَراني.

أنْجَبَتْني للبساتينِ التي لا حُزْنَ فيها فَتَشَبَّهْتُ بأشجارِ الرُّبَى حِينًا ، ولمَّا اقْتَرَبَتْ مِنّي فتاةٌ صرتُ إنسانًا ، وصار الشوقُ آلافًا من الأطيارِ تَسْرِي في خيالي.

رأفةً بالقلبِ نامت لَهْفَتي ثم أفاقَتْ فَرَأَيْتُ البَحْرَ يَسْعَى ، وأنا أَسْعَى بِهِ نحو الأعالي.

ورأيتُ الشامَ تَدْنو ، وأنا أَدْنُو حَيِيًّا أَجْمَعُ الزَّهْرَ وأسرارَ الجبالِ.

إنها الشامُ ابْتِهاجٌ دائمٌ . مِنْها أتَى
جَدِّي . أَتَى مِصْرَ مَسِيحِيًّا يُحِبُّ
الليلَ أنغامًا وسُمَّارًا وخَمْرًا عَبْرَ
أنوارِ الغناءِ .

قد أتاهُ المالُ ، والمالُ مع العشاقِ
يَسْعَى للزوالِ .

يا أبا أُمِّي دمائي هامَ فيها عَرَبٌ
بَدْوٌ ، وأحبابٌ من الشامِ ، وأجناسٌ
كِثارٌ سَكَنَتْ مِصْرَ وصار القلبُ
فيهِمْ . آهِ يا جَدِّي لعلَّ الشِّعْرَ قد
جَمَّعَ بُلْداني ، وأهداني مفاتيحَ
الظلامِ .

أَنْـتَ في غَـيْـبٍ من الماضي فمَا عُـدْتَ تَـرَىٰ أُمِّي وقـد غـابَـتْ عن الـدنيـا كثيرًا . إنها تحيـا مع الأطيـافِ حَتَّىٰ لم تَـعُـدْ تَـعرفُ وَجْـهي .. لَـمْ تَـعُـدْ تُـدْرِكُ أَحْزاني عَـلَـيها وبُـكائي.

ألهمتْنِي - وأنا المسكونُ بالإلهامِ - أنْ أَحْنو علىٰ الناسِ فصـار القلـبُ مملوءًا بآلافِ المآسي.

إنها أُمِّي قناديلُ الليالي.

رُبَّما كنتِ تحبينَ أَبِي . كان عَصِيًّا ونبيلاً . قد أحبَّ اللهَ والدنيا ، وما أَخْفَى هَواهُ بالنساءِ.

عندما انْساقَ إلى شَيْخوخَةِ العُمْرِ تَحَوّلْتِ إلى جاريةٍ لِلْمَلِكِ المخلوعِ تَرعاهُ ، ولا تَشْكو سِوَى مِمَّا يعاني.

يا نُهَيْرًا أهدرَ الماءَ جميعًا وانْتَهَى ... ما هذه الآلامُ تَسْرِي في الأماسي؟

أيــن نَــجْــمٌ قــد رأيــنــاهُ مَـعـًا ؟ قَـدْ
ضــاعــتِ الأيــامُ مــنــي ، واخْـتَـفَـتْ عَـنْـكِ
المعاني.

كيــف أَدْنــو من ظـلامِ الليــلِ وحــدي
يا قناديلَ الليالي؟

1998

الشِّعــر

2005

الحركة الأولى

تَعَثَّرْتُ في الوَرْدِ طِفلاً فكيف
أعودُ إلى هذِهِ العَثَراتْ؟

لقد كان ذلكَ قَبْلَ دُخُولِ المعاني
لقلبي . أسيْرُ وحولي المَدَى دَرَجاتٌ
من الظِّلِّ والعَتَماتْ.

ويومَ تَصاعَدْتُ نحو الصِّبا كنتُ
طَيْفًا خلال الشُّجَيْراتِ أَسْمَعُ صوتَ
الحدائقِ في الفَجْرِ حيث الحياةُ
تَخَفّتْ هنالكَ في القَطراتْ.

أكنتَ معي حينذاكْ؟

أكنتَ تعيشُ هنالكَ عَبْرَ خلاياىَ
مُخْتَفياً أم تُراني سَعَيْتُ إليكَ ،
ولمَّا توهَّمْتُ أني اقْتَرَبْتُ جَعَلْتُ
مَصيري فِداكْ.

ألستَ الذي جَعَلَ البَدْرَ مُرْتَحِلاً عَبْرَ
آفاقِ روحي ، وأَشعلَ جِسْمي بماءِ
الينابيعِ ؟ كيف الذَّهابُ إليكَ ؟ أسيرُ
أسيرُ ولا أَبْلُغُ العَتَباتْ.

تَسَاءَلْتُ كيف الوصولُ إلىٰ جَوْهرِ الروحِ فيكَ وأنتَ الذي تتلاشىٰ لياليهِ في لَحَظاتْ؟!

قريبًا بعيدًا سرابًا وراءَ سرابٍ أراكْ.

غَفَوْتُ لَعَلِّي مع الحُلمِ أَسْرِي خلال أثيرٍ يُؤَدِّي إليكَ ، ويَجْعَلُني هائمًا في حِماكْ.

بـــهـــذا تـــآزَرَتِ المَـلَـكـــاتُ جمـيـــعًا ،
وصـارت رؤايَ تَـجُـوس خـلال التـفـاعـيـلِ
تَـبْـحَـثُ عَـنْـكَ وأنـتَ تـخـفَّـيْـتَ أَلْـفَ
هنـاكْ.

فـلـمَّـا أَفَـقْـتُ رأيـتُ أمـامـي مئـاتٍ من
الكَلِـمـاتْ.

الحركة الثانية

أأنتَ الذي يتكلَّمُ أَمْ أنني أَسْمَعُ الليلَ مُنْدَمِجًا بالنجومْ ؟!

أأنتَ المسافاتُ أم نورُها أم سماءٌ تُخَبِّئُ غاياتِها أم لقاءُ الجُزَيْئاتِ في لحظةٍ لا تَدُومْ ؟

كأني اسْتَعَرْتُ رُؤاكَ فأدْرَكْتُ سِحْرَ دخولِ العناصرِ في بَعْضِها ، ورأيتُ المشاعرَ تَبْحَثُ عن عاشقٍ هالكٍ في السَّديمْ.

تَـرَكْـتُ مصـيـري لديـكَ فصارَ فَـتِـيًّا
فـطـمـأنْـتُ نَـفْـسِـيَ أنّ الـهـلاكَ بعـيـدٌ
عن الروحِ مَهْما اسْتَـبَـدَّ الرَّحيلْ .

أأنـتَ الظلامُ يُـنـادي فلمَّا تَـقَـدَّمتُ صارَ
يُـخَـبِّـئُـني في حِـمَـاهُ الـعَـميمْ ؟

نَـعَـمْ فـأنـا الآنَ - كالـلـيـلِ - مـنـدمِـجٌ
بالنجومْ .

مَـكَـثْـتُ لَدَيْكَ جَسُورًا ومُـقْـتَحِمًا . كـنـتُ أَحْمِلُ عَـنْـكَ الذي أستطيعُ الذَّهابَ به مِنْ ظلالٍ ، وموجٍ ، وأوهامِ ناسٍ مسافرةٍ غَـيْـرَ أني تَرَكْـتُ ورائي شموعًا تُضِـيءُ الـذي أنـتَ خَبَّـأْتَـهُ في الظلامْ.

مَـدَدْتُ الإقـامـةَ عـامًا فعـامًا ، ومـا هـكذا شِـيْـمَـةُ الزائرينَ فكيفَ سَـمَحْـتُ لنَـفْسِي بِطُولِ المُقامْ ؟

تمـادَيْـتُ عَـبْـرَ أراضيـكَ أَجْـمَـعُ بـيـنَ العـذارىٰ وبيـنَ الزهـورِ ، وأذهـبُ نحـو الشُّـجَـيـراتِ أهرُبُ مِـمَّـا بـنَـفْـسِـي من الشَّـهَـواتْ.

لديكَ التفاعيلُ مُعْجِزَةٌ ، ولَدَيَّ الكثيرُ من النغَماتْ.

هو الشوقُ في جَسَدي يتحولُ في كلِّ يومٍ إلى كَلِماتْ.

تَرَكْتُ المَشاعِلَ مُوْقَدَةً في ضميري حِفاظًا على النورِ في داخلي فاتَّصَلْتُ بروحِ الحضاراتِ حقًّا ووهمًا ، وصِرْتُ أُحاذِرُ أنْ أَخْتَفِي في الزمانْ.

سنينٌ مَضَتْ وأنا في أراضيكَ
أَمْضي إلىٰ أنْ رأيتُ يَبابًا ، وبعضًا
من الشعراءِ الذين انْتَهَوْا في جَحيمٍ
من الهذيانْ.

شَعَرْتُ وساوِسَ لا بُرْءَ منها تُلاحِقُني ،
ورأيتُ الحياةَ التي قد تجاهَلْتُها
تَتوعَّدُني ، وتقاتلُ مَنْ كان مِثْليَ
مُتَّهَمًا بالهُيامْ.

تركْتُكَ شيئًا فشيئًا ... بلا ندمٍ قد ذهبتُ ، وفي غُرْفَتي صِرْتُ أحْيا بلا أَرَقٍ . لَمْ تَعُدْ دَفَقاتُ المعاني تُباغِتُني. شَحَّتِ القطراتُ فماتَتْ طيورٌ ، وضاعَتْ نُفوسٌ كأنيَ أَرْحَلُ مُبْتَعِدًا عن رحيلِ الغُيومْ.

لقد كنتُ قلبًا أَبِيًّا ، وأنتَ سنينٌ قد اسْتَعْبَدَتْني ، ولا .. لَمْ أَلُمْ قَدَري أنني عِشْتُ فيها أسيرَ جنونٍ من الخَفَقْان.

تباعَدْتُ عنْكَ .. تباعَدْتُ أَمْ أنني قد طُرِدْتُ ؟! تَرَكْتُ ورائي سُهولاً ، وصِرْتُ أعيشُ النهارَ مُفيقًا إلى أنْ تلاشَيْتُ في الناسِ مُسْتَرْسِلاً في الزِّحامْ.

عَرَفْتُكَ ليلاً رهيبًا . بِلا رَهْبَةٍ سِرْتُ فيهِ وحيدًا وبَعْدَ انْقِضاءِ زمانٍ من السِّحْرِ أَدْرَكْتُ أنّ السِّتارَ قَدِ انْسَدَلَتْ ، والمُمَثِّلَ لابدّ أنْ يَخْلَعَ التاجَ عن رأسِهِ ، ويُزِيْلَ المَساحيقَ ثم يعودَ إلى الأرضِ حيث يُثَرْثِرُ وهْوَ يَلُوكُ الطعامْ.

لَعَلِّي أراكَ بِذاكَ الزمانِ كِيانًا
وروحًا يَرَاني . يَرَىٰ شاعِرًا ظَلَّ
يَكْتُبُ يَكْتُبُ .. لَيْسَ لَهُ مِنْ مُرِيْدِيْنَ
ثُمَّ اخْتَفَىٰ في الحياةِ ، وظَلَّتْ كِتاباتُهُ
لا تَراها العيونْ.

فعاشَتْ هنالكَ ماكِثَةً في الظلامْ.

وما عدتُ مندمِجًا بالنجومْ.

الحركة الثالثة

تَـرَكْـتُـكَ خَـلْـفـي بِـمِـصْرَ وَرُحْـتُ مع النـازحـيـنَ الـذين اسْـتَـجـاروا بـأرضِ الحِـجازْ .

تلاشَـتْ حضارَتُـهُـمْ فاسْـتَـعانـوا بوَهْـمِ الخُرافـاتِ ، وانْـكَـفَـئُـوا خاضعيـنَ لبَطْـشِ الطقوسْ.

أقمتُ سنينًا أعيشُ مع الغُرباءِ غريبًا ، وأَحْيا بعيدًا عن النَّغَماتِ التي كَوَّنَتْني . بلا كُتُبٍ كُنْتُ أَحْيا . رأيتُ الحياةَ بدونِكَ مَحْضَ منافعَ لا تَنْتَهي في مدائنَ أَيَّامُها تَكْتَوِي بالشموسْ.

أراكَ انْتَهَيتَ خلال ضَميري سُكونًا كأنَّكَ ما كُنْتَ لي قَبَسًا .. لا ، ولا كُنْتَ لي سَكَنًا ، وكأني تَبَرَّأتُ من نارِ قلبي، ومَعْرِفَتي بخَفايا الرموزْ.

وها كَلِماتي قدِ اخْتَلَفَتْ . لَمْ تَعُدْ لُغَتي العَربيةُ في مأمَنٍ في الحجازْ.

تلاقَتْ شعوبٌ هناكَ . تلاقَتْ عَلَى جَفْوَةٍ وارْتِيابٍ . هي الناسُ يَنْهَشُ في بَعْضِها البعْضُ دون حياءٍ إذا ما أحسُّوا وجودَ الكنوزْ.

بلا وطنٍ يصبحُ المَرْءُ أكذوبةً... صارتِ الناسُ حولي أكاذيبَ سائرةً ، وأنا كِذْبَةٌ بينَ تلك النفوسْ.

فكيف بتلك العواصفِ عِشْتُ كريمًا
فَمَا خَضَعَتْ هامَتِي .. لا .. ولا احْتَرَقَ
القَلْبُ من صَلَفٍ بَدَوِيٍّ ، وما كنتُ
بين أُناسٍ قدِ انْسَحَقَتْ ثم حَقَّ عليها
العُبوسْ؟!

لعلَّكَ كنتَ معي حارسًا لا أراهُ... لعلكَ
أَنْقَذْتَني يومَ علَّمْتَني كَيْفَ
أَجْمَعُ ماسًا من الخَفَقانِ الذي في
النجومِ ، وأنْ أَتَجاهلَ ماسًا جَناهُ
انْحِناءُ الرُّؤُوسْ.

لعلَّكَ كنتَ مَعِي في النهارِ الطويلِ
بأرضِ الحجازْ.

الحركة الرابعة

رَجَعْتُ عن الصَّحَراءِ ! أكان الرحيلُ إليها ذُنُوبي ؟! أَمِ الأمْرُ جاءَ فكانَ عليَّ الرجوعُ من السنواتِ التي خَفَّفَتْ من عذابي ؟!

يُوَسْوِسُ لي هاجِسٌ أنْ أعودَ " سَتُؤْذَى إذا لم تَعُدْ . قد أتاكَ أوانُ الذَّهابِ فإنْ لَمْ تُغادِرْ أَضَلَّتْكَ تلك البراري .

سَتُؤذَى سَتُؤذَى " فعُدْتُ إلى مِصْرَ . كانَتْ مَعِي سَنَواتٌ مِنَ الذِّكْرياتِ تُؤَازِرُني ، وأقاصيصُ تنتظرُ البَوْحَ مِنِّي ، وروحٌ قدِ اصْطَبَغَتْ بنهارِ الصحارِي .

عَلَيْكِ النَّدَى والأسَى يا حجازُ . تَعَلَّمْتُ فيكِ انْدِماجَ الشعوبِ ، وأدركتُ مَعْنَى اللُّهاثِ الذي في النفوسِ، وصِرْتُ قويًّا لفَرْطِ اغْترابي.

عَلَيْكِ النَّدَى ... شَمْسُكِ الهَمَجيَّةُ ما أحرقَتْني ، لياليكِ ما عَذَّبَتْني . كأنيَ ما نِمْتُ إلا بتِلْكَ الليالي.

لَعَلِّي خلال وجودي هناكَ قدِ انْدَمَجَتْ بضميري حروفٌ أتَتْ من عُكاظٍ، وأَزْمِنَةٌ بَحَثَتْ عن مَلاذٍ، وأحوالُ مَوْتَىٰ قدِ ارْتَحلوا للتُّرابِ فصارتْ عِظامُ الكِرامِ خِلالَ عِظامِ اللِّئامِ فَمَنْ ذا يُفَرِّقُ بَيْنَهُما ؟ رُحْتُ في لَهْفةٍ أتمادَىٰ مع العَرَبِ القُدَماءِ . نَعَمْ صرتُ حيًّا لَدَيْهم ، وكانوا يعيشونَ حَوْلِي . تجاهَلْتُ مَنْ خانني ، واسْتَمَعْتُ لمَنْ كان مِنْهُمْ يخفِّفُ من عَطَشِي واضْطِرابي .

ولمّا رَحَلْتُ خلال المسافاتِ مندفعًا
بَلَّلَتْ جَسَدِي قَطَراتُ دماءِ الفتوحاتِ .
كنتُ أُكَتِّمُ حُزْني عَلَى رُؤْيَتي
للعبيدِ مُطَأْطِئَةً ، وعَلَى فزعٍ هائلٍ
سوف تَمْضي إليهِ الجَواري.

لكلِّ الحضاراتِ أهواؤها فامْتَنَعْتُ عن
الخَوْضِ فيها ، وقلتُ لنَفْسيَ خُوْضِي
خلالَ اكْتِمالِ المعاني.

تَـفَـجَّـرَتِ الجاهلـيـةُ عن شَـجَـنٍ دائـمٍ ، وحـيـاةُ الـرسـولِ ارْتِـحـالٌ إلـى أَمَـلٍ دائمٍ ، والصحابةُ فَـيْضُ المَراثي.

فلمَّـا تـصاعَدْتُ مرتَبِكًا لكِيانٍ رهيبٍ هي الدولَةُ الأُمَويَّـةُ سارعْتُ مُـبْـتَـعِدًا . قد تـجاهَـلْـتُ تسـعـيـنَ عامًا ، ورحـتُ لـبـغدادَ . كنـتُ بها أَسْـتَـجـيـرُ من الظُّـلْـمِ بالبحثِ عن سَمَرٍ عَـبِـقٍ بالأغاني.

وعـاهَـدْتُ نَـفْسِـيَ ألا أكـفَّ عن السَّعْـيِ عَـبْـرَ النجـومِ التي تَـتَحـرَّكُ عَـبْـرَ ليالـي الأغاني.

جَسارَةُ خَطْـوِي ونَـفْسي حدائقُ مَسْكُونَةٌ بالطيوفِ ، فأَحْـسَـسْـتُ بالرَّغَـباتِ التي في الـجُـذورِ ، وأصـــواتِ نـارِ بُـــزُوغِ الشُّجَـيْـراتِ ... كـان الظـلامُ وراءَ ظـلامٍ يُخَبِّئُ من طَعنوني.

كأنيَ لم أتألمْ ... نَزيفي ، وروحُ عذابي ، وبَحْثي عن النَّغَماتِ قد اتَّحَدوا حِكْمَةً وحَكايا . بهذا اسْتَمَرَّتْ نجاتي ، وكان تَقَلُّبُ قَلْبي من العشقِ يَهْدِي خُطايَ ، ويَعْصِمُني مِنْ جنوني.

تبوحُ الليالي بأسرارِ ناسٍ وأحوالِهِمْ فَدَخَلْتُ إلى روحِ أشواقِهم ثم أدْخَلْتُهم في التفاعيلِ حتى يعيشوا بها . لَكَأنّ مصائرَهُمْ مِنْ مصيري.

أكانوا جميعًا أنا ؟ أم تُراني تَوَزَّعْتُ فيهم ، وأثقلتُهُمْ بشُجُوني ؟

هي النَّفْسُ كانت مُحَمَّلَةً ثُمَّ باحَتْ ، ومازلتُ أرحَلُ مستأنِسًا بالنجومِ ، وأنغامِ مَنْ سَبَقوني .

تَعَلَّمْتُ عَبْرَ ارْتِحالي ألا أخافَ ظلامًا يُخَبِّئُ مَنْ يَطْعنوني .

صاحب الأشواق

كأنني أَرْجِعُ لتِلْكَ العُهودِ أمامَ النورِ المُنْبَعِثِ من "مُظَفَّرِ النَّوَّابْ".

كان يتكلمُ فأَرَىٰ أمجادَ بابِلَ، وأسرارَ بغدادْ.

وأنامُ في حدائقِ بلادٍ لَمْ أَزُرْها، وأستيقظُ خائفًا من جُموحِ المحيطاتْ.

قد أراني حُروبَ العَرَبِ القدماءْ.

عَلَّمَني كيف أخْلُقُ زَهْرَةً ، وغابَ عنيَ شهرًا ، ولمَّا عادَ وَجَدَني مُحاطًا بِمَا خَلَقْتُ من بساتينْ .

قال يا " عادلُ " قد عُرِضَتْ عَلَىا روحي العناصرُ جميعًا فاقْتَرَبْتُ من الطينْ.

تَسْمَعُ بِهِ انْبِثاقَ الحياةِ ، وأصواتَ أقدامِ الفُقراءْ.

عَلَّمَني وَطَني أَنْ أَعْبَثَ بالشياطينْ.

أنتَ عَرَفْتَني . أنا الذي خُلِقْتُ مِنْ بَهْجَةِ الأطفالِ ، ومِنْ عِنادِهِمْ . لستُ أخافُ مِنَ الليلِ المُخِيفْ .

أدْخَلَني الشِّعْرُ إلى مساحاتٍ أَبْعَدَتْني عن الناسِ بل قَرَّبَتْني من الناسِ ، وأَرَتْني المعاني التي في الظِّلالْ.

الكثيرُ الكثيرُ من البَنَفْسجِ أُهْدِرُهُ عَبْرَ أشجارِ الليالي ، وغروبِ البحارِ، وشَهَواتِ النساءْ.

سألنـــي : لمـــاذا أراكَ تَـتَـحَـرَّجُ مـع الفتيـاتْ ؟!

فَـغَـمْـغَـمْـتُ فَـلَـمْ يَـفْـهَـمْ ثُمَّ أَسْـرَعْـتُ مُنْصَرِفًا ، وفي الطريقِ وَحْـدِي أَحْسَسْتُ حَرارتي تَـنْـتَـقِل إلىٰ الشتاءْ.

أَتَتْنـــي الـرؤىٰ من كلِّ صَـوْبٍ والـنَّـدَىٰ يتساقطُ من الأشجارْ.

فـرأيـتُـــهُ قـادمًـا مِـنْ أيـامٍ مَـرَّ بـهـا مِـنْ قبلُ قدماءُ الأنبياءْ.

نَسَبٌ عريـقٌ مُمْعِنٌ في المِسْـكِ ، وكتابةِ الأشعارِ ، ومـقـاتَـلَـةِ الـطّاغوتْ .

يُطارِدُهُ المُسُوخُ فيهرُبُ ، وتهرُبُ في إثْرِهِ الأشعارُ والعراقْ.

قال أنا صاحِبُ الأشواقِ فافْتَحوا الأبوابْ ..

كان ظلامُ الفَجْرِ يُداري بكائي عَلَيْهِ . تَعَثَّرَتْ خُطواتي لِفَرْطِ الرؤىٰ، والأسَىٰ ، ومِمَّا رأيتُ في مصيرِهِ من عَذابْ.

مساحةٌ هائلةٌ من النورِ – كانت تنبعثُ أمامي – " مُظَفَّرُ النَّوَّابْ ".

1985

أيمن عبد الفتاح

يَـرَاكَ مُـرِيْـدُوكَ أصغـرَ سِـنـًّا ، وأكبـرَ سِـنـًّا معـًا ، وتَـراكَ الـحـيـاةُ بـخـيـلاً ، وأنتَ انْدِفـاعُ السَّخاءْ.

نَـعَـمْ أنـتَ كـهـلٌ وشـابٌّ ، ومـاءُ نُـهَـيْـرٍ بِهِ تَـسْـتَـحِـمُّ الـنـساءْ .

كأنيَ بالشِّعْرِ أقْدِرُ أنْ أَتَـتَـبَّـعَ خَـطْـوَكَ. أنتَ ذَهابٌ خلال ألوفِ التفاصيلِ . كيف تُـحَـوِّلُها جَوْهَرًا ، وتُحيلُ الخيوطَ – التي نتعثرُ فيها – إلى كَلِماتْ؟!

أَفَقْتَ خلال صِباكَ عَلَى الكونِ مُسْتَرْسِلاً في قوانينِهِ ورؤاهُ كأنكَ خُضْتَ خلال المَجَرَّاتِ تَسْبَحُ بين عناصرِها . إنَّ جِسْمَكَ منها . بهذا تَخَلَّصْتَ من ذكرياتِ الدخولِ إلى مَلَكوتِ الغيوبِ ، ومِن خَدَرٍ حافلٍ بالإلهْ .

وصرتَ تَرَى الموتَ دون أسًى . إنَّهُ رِحْلةُ الناسِ للأرضِ ، والناسُ بعضُ الجزيئاتِ . ما دُوْنَ ذلكَ فهْوَ رياءْ .

ولا ... لا أظنُّكَ تبكي عَلَيَّ إذا مِتُّ قَبْلَكَ يا سَيِّدَ العُقلاءْ.

تَـرَانـي أعـيـشُ خـلال ذهـولـي وأنـتَ مُـفـيـقٌ . إذا ما سَـكِـرْتَ فأنتَ مُـفـيْـقٌ . تُـكَـلِّـمُـنـي فكأنـكَ تُـنْـقِـذُني مِنْ رحيلي إلى السَّكَـراتْ.

أحـاولُ أنْ أَتَـلَـمَّـسَ صيفًا ، وأنتَ الحـيـاةُ خلال الشتاءْ.

لعـلَّ صداقَـتَـنـا لم تَـكُـنْ غَـيْـرَ بَـعْـضٍ من الـنَّـغَـمَـاتْ .

لعلَّ المحبةَ غيبٌ أنا لا أراهْ.

أساءَلْتَ نَفْسَكَ ماذا يُجَمِّعُنا والمسافاتُ تَفْصِلُ ما بيننا؟! أَمْ صداقتُنا قد أرتْني جليدَكَ بعضَ المرايا فشاهَدْتُ فيها شموسي، وسِرَّ جُنوحِ فؤادي، وحاجةَ نَفْسي لبعضِ الذي أنتَ تَمْلِكُهُ مِنْ ضياءْ.

وشاهدتُ مِصْرَ - التي لا أظنُّكَ تَتْرُكُها - قد توغَّلَ فيها البكاءْ.

وها أنتَ تبحثُ عنها وعنْكَ لعلكَ تُرْسِلُ فيها الذي أنتَ تَمْلِكُهُ من ضياءْ.

2005

سامح شنوده

هل تشعُرُ أنّ ملائكةً من نيرانٍ تَحْيا في نَفْسِكَ يا مُتَّصِلاً بغروبِ الشمسِ وبالأحزانْ ؟

أنكَ أضعفُ إنسانٍ يَمْتَلكُ الدنيا من فَرْطِ وجودِكَ في الأنغامْ ؟

أحلامُكَ إنْ دَخَلَتْ فيها الموسيقى يَتَحَوَّلْ فيضُ الوتريات نُهَيرًا من ليلٍ ، والأبواقُ نجومْ .

أنتَ عليمٌ بالأطيافِ المَرْئيَّةِ إذ تَدْخُلُ في أزمانٍ تنسابُ إلى أزمانْ.

في هذي الدَّفَقَاتِ يكونُ الإيقاعُ خَفِيًّا كالأشواقِ بأعماقِ الإنسانْ.

أهنالكَ أنغامٌ كفتاةٍ هائمةٍ يا مَنْ عاشَ سنينًا يبحثُ عن كونٍ مملوءٍ بالفتياتْ؟

جِسْمُكَ مملوكٌ للشَّهَواتِ وللنَّشَواتْ.

لَمْ تَتَرَدَّدْ أن تُنْفِقَهُ في حُبِّ الدنيا لكنكَ تَحْيا من فرطِ هُيامِكَ بالدنيا فكأنكَ - يا طفلاً مندفعًا - تَمْكُرُ بالأيامْ.

أحزانُكَ نَبْعٌ مُتَّصِلٌ بدموعِ الفقراءْ .

وهمومُكَ سُخْطٌ من طاغوتٍ يَحْكُمُنا حتى لاحتْ مِصْرُ بأعْيُنِنا ليلاً مملوءًا بذئابٍ سوداءْ.

لا تـأسَ لأنَّ قلـيـلاً مِنْ أحبـابِـكَ قَدْ
هجروكَ ، وصاروا يَغْتَرِفونَ معارفَهم
من أَشْلاءِ القدماءْ.

هجروكَ وأنتَ تَراهم قد هَجَروا أنْفُسَهم
وارْتَحَلوا لكهوفِ الصحراءْ.

والآن يَلُوحُ العُمْرُ ذَهابًا محمومًا نحو
الموسيقى: هي أرواحٌ تَرْحَلُ نحو الروحِ
ولا تَتْرُكُها ، آلامٌ نَسْتَعْذِبُها ، ومعانٍ
متحررةٌ من هَيْمَنَةِ الكلماتْ.

ولـيـالٍ تَعْزِلُنا عن ليلٍ مملوءٍ
بذئابٍ سوداءْ .

2006

أحمد شوقى الخطيب

أنتَ الذي يَحْيا هنالكَ في أقاصِي
الليلِ حيثُ الظُّلْمُ مَحْتومٌ عَلَى
العشاقْ.

حُرًّا فقيرًا مُنْصِتًا للناسِ والأشواقْ.

فَظًّا غريبًا تَهْزِمُ الدنيا قليلاً . أنتَ
في نِصْفِ المَدَى تَخْشَى ولا تَخْشَى
من الأيامْ.

حاولتَ أَنْ تَحْيا حياةَ الأثرياءِ وأنتَ
لا مالٌ لديكَ فشاءتِ الأقدارْ.

ها أنتَ تَمْلِكُ أُسْرَةً تَحْنو عليكَ ، وتَنْتَمي لذخائرِ القانونِ ما اسْتَعْصَتْ عَليكَ ، وتَرْتَقي تَرَفَ التأمُّلِ ، والكتابةِ ، والتَّوَغُّلِ في رُبَى الأشعارْ.

أَسْرَفْتَ في التَّرْحالِ في كُتُبي كأنكَ كنتَ تُحْيِيْها وَتُحْيِيني . تَخَلَّتْ أُمَّتي عن نَفْسِها حين ازْدَرَتْ مَنْ كان مِثْلِي ، واكْتَفَتْ بتعاقُبِ الغِرْبانْ.

أنتَ الذي بالنَّفْسِ آزَرَني ، وذكَّرَني بأنِّي أمْلِكُ الأسرارْ.

صارت صداقتُنا حِواراتٍ نُسافِرُ في مراكبِها فَهَلْ تَخْشَىٰ الذَّهابَ – وأنتَ من شَمْسِ القُرَىٰ – نحو الوجودِ المُنْتَمِي للثلجِ عَبْرَ شواطئِ الأغرابْ؟

تَخْشَىٰ سماواتٍ بلا غَيْبٍ : فراغًا هائلاً تتدافعُ النيرانُ فيهِ ، والسنينُ تَذُوبُ فيهِ. لاحَتِ الأكوانُ آمادًا بلا مَعْنًى ، مصادفةً من الكيمياءِ والألوانْ.

فإذا رجِعْتَ إلىٰ القُرىٰ عادت جوانحُكَ الفَتِيَّةُ تَنْتَمي للهِ ... أنتَ الآن تَمْكُثُ في مَداهُ باكيًا . إن البكاءَ يُخَفِّفُ الأحزانْ.

2006

البيت المسكون

انتهت في 2007

-1-

نَـفْـسـي ذَرَّةُ نـورٍ فـي دَفَـقـاتِ الأكـوانِ ،
وحَوْلِي هَمَسَاتٌ أَتَفاداها.

ظُـلُـماتٌ راحِـلَـةٌ أَرْحَلُ فيها .

أحلامٌ عابرةٌ أَرْحَلُ فيها.

وغُـبـارٌ يَـتَـلَـوَّنُ بظـلامٍ حِـيـنًا ، وبـنـورٍ
حِـيـنًا ، والمَـعْـنَى الكُلِّيُّ معـانٍ مُـتَـصارِعةٌ
حيـثُ مسـافاتٌ نحـو مسـافاتٍ هائلةٍ
تَتمادَى.

ماذا أَخْشَى وأنا لا شيءَ مع الذرَّاتِ
أَرَى بُلْدانَ غَمامٍ لَمْ تَشْعُرْ
بوجودي . لا أخطارَ تُهَدِّدُني كخلايا
تحيا في البحرِ، ولا أحياءَ تَرَاها .

وأنا ذَرَّةُ نورٍ كيف رأيتُ الأكوانَ
المأهولةَ بالأكوانِ وقَدْ سُجِنَتْ في
الأنغامِ ، وكيف رأيتُ الأشعارَ عَلَى
بُعْدِ ثوانٍ تتباعدُ في بُطْءٍ وأنا
أَتَمَنَّاها .

كان هدوءُ الليلِ نِداءاتٍ باكِيَةً فأَفَقْتُ
مِن الحُلمِ فعادتْ نَفْسي مِنْ رِحْلَتِها حَتى
صارت جِسْمي . ها غرفةُ نومي . ها قلبي
رَغَباتٌ ، وسويعاتٌ تَتَلاشى .

-2-

غرفةُ نومي صَمْتٌ مَمْلوءٌ بجنونِ الأيامْ.

مِنْ حَوْلي كُتُبٌ . هي كَوْنٌ يزدادُ ويزدادُ ولا يَتَكامَلُ أَبَدًا . هي ناسٌ من كَلِماتٍ قد تأتِيني في الأحلامْ.

أَفْتَحُ نافِذَتي كلَّ صباحٍ عَلَّ كوابيسي ، ومخاطرَ أحلامي تَخْرُجُ مِنْها . لَمْ أُخبرْ أَحَدًا أنَّ النومَ رحيلٌ مُمْتَزِجٌ بالنيرانْ.

أشعاري تَـبْدو – قَبْلَ كتابتِها – أطيافًا أَتَجاهَلُها ، أحوالاً أَتَناساها ، أشْواقًا تَتَهَرَّبُ مِنِّي ، أسرابًا تَتَباعَدُ عَنِّي ، أوقاتًا تَسْرِي في الأنغامْ.

بعد كتابَتِها أَسْتَغْرِبُها . لكأنَّ قَرِينًا لي يكتُبُها وأنا لاهٍ عنها أتَصاعَدُ في الأعوامْ.

كان القُدَماءُ يُحِسُّونَ الشَّيطانَ يَجِيءُ إليهِمْ في غَفْلَتِهِمْ مُنْتَشِيًا يَقْظانًا ، يَرْمِيهِمْ بمَعانٍ ثم يَفِرُّ إلى أقربِ نارٍ ، وهناكَ يَرَاهُمَ في أَسْرِ الأوزانْ.

غرفةُ نومي مُثْقَلَةٌ بي وبنَوْمي ، وبأشعارٍ لَمْ أقْدِرْ أنْ أكتُبَها حتى صارت زَهْرًا يَحْيا في قَبْوٍ ، وبلابلَ قد نُسِيَتْ في بئرٍ ، ونُهَيْرًا ليس يَراهُ الظمْآنْ .

فأحاولُ أنْ أسْتَحْضِرَ أيامًا ووجوهًا قد بَعُدَتْ عَني ورؤًى مَكَثَتْ أعوامًا في النِّسيانْ.

-3-

زَمَنٌ مَمْلُوءٌ بالأشواقِ هي الموسِيقَى .
لمَّا أَسَرَتْني ما حاوَلْتُ هروبًا
حتى دَفَعَتْني أصواتُ الأبْواقِ إلى
قَصْرٍ يحَيْا في أشواقٍ غامِضَةٍ
لا أعرفُها.

أَخَذَتْني أحزانُ الوَتَرِيَّاتِ إلى بَهْوٍ
فَشَعَرْتُ بهَمْسٍ يأتي من لَوْحاتٍ
كانت في ظِلِّ الجُدْرانِ تُحاولُ أنْ
تَتَخَفَّى.

أنـوارُ خـافِتَـةٌ جـاءتْ من أنـغـامٍ أخـرى
فَسَمِعْتُ نُقوشًا وزَخارفَ ظَلَّتْ تتكاثرُ
مِثْـلَ فَراشاتٍ ما لَبِثَـتْ حتى رَحَـلَتْ
رَفْـرَفَـةً أَزْعُـمُ أني أَسْـمَـعُـها.

ها خُطُواتي تَـنْساقُ إلى أحـلامٍ صِرْتُ
أحاولُ أنْ أُمْسِكَها فأراها تَنْأى.

ها لَيْلٌ يَتَجَمَّعُ حَوْلي وأنا أفْنَى.

بعـد ثـوانٍ صـارت نَـفْسي مُـتَـدَفِّـقَـةً
حينَ اجْتَـمَـعَتْ كلُّ الآلاتِ شُـعوراً يَـهْـدِرُ
مُـتَّصِلاً، وبهـذا فُـتِـحَتْ أبوابُ فَخَـرَجْتُ
إلى أنـوارِ نجـومٍ ... ها " بِـتْهوفِـنْ "
يَـنْظُرُ في حزنٍ للأعْـلَى.

ما إنْ مَدَّ يَدَيْهِ حَتّىٰ أَمْسَكَ أسرارًا كُبْرَىٰ .

ما كان سِوَىٰ كونٍ يَتَبَدَّدُ أقدارًا ، وشجونًا عُلْيا .

ما كانت نَفْسِي تصبحُ نَفْسِي لَوْلا السَّعْيُ خلال حدائِقِهِ . عَلَّمَني أَنَّ همومَ القلبِ طريقٌ للأحزانِ العُظْمَىٰ .

أن ظـلامَ الأعمـاقِ ليالٍ تُـخْـفي أنـواراً هائِـلَـةً ، وكُـنـوزَ عـذابٍ ما كان سِـواهُ يَـقْـدِرُ أنْ يَـكْـشِـفَـها .

ألهذا انْـتَـقَـمَـتْ مِـنْـهُ الأقـدارُ الدنـيا ؟!

أَلْـقَـتْـهُ في الصَّـمْتِ فصـار وَحِـيـداً في مِـحْـنَـتِـهِ يـتـسـاءلُ " هَـلْ حقـًّا أنـغـامـي يَسْمَعُها الناسُ ، ولا أَسْمَعُها ؟!"

-4-

بَـيْـتـي أَمْـكِـنَـةٌ فيها أَزْمِـنَـةٌ . قَـدْ ذابَ الساكِنُ في المَسْكونْ.

كـنـتُ وحـيـدًا ، والـغُـرْفَـةُ مِـنْ حَـوْلِـي حافِـلَـةٌ بظلالٍ فأَتَـتْـنـي الأنغامُ بأنهارٍ ، وأنا صَبَّارٌ في قَفْرٍ مَعْزولْ.

إنْ مَـرَّتْ أَسْـرابُ طـيـورٍ فَـهْـيَ حروفٌ ... كيف أُدَوِّنُها ؟ كيف سأَجْعَـلُها تَـرْحَـلُ حتى الشَّلالْ؟

ها قَصَصٌ تَجْعَلُني أَتَوَهَّمُ أنّ قُدَامَى الناسِ يجيئونَ إلى بَيْتي أرواحًا زائرَةً ثُمَّ يعودونَ إلى مأواهُمْ في الأزمانْ.

نحن الأحياءَ سنأتيكُمْ حيثُ نَضِيعُ جميعًا مُتَّحِدِيْنَ تُرابًا في ذاكَ الإظلامْ.

لَمْ يَبْقَ لروحي غَيْرُ قليلٍ من إسراءْ.

لكأني بالأشعارِ أَرَىٰ الأشياءْ.

وأراني أَتَقَدَّمُ حتىٰ أَبْلُغَ آخرَ أيامي
مُنْفَصِلاً عن أحزاني ، والأحبابُ
تَرَىٰ وجهي في غَيْبَتِهِ يَبْدو حيًّا
قَدْ أَسْرَفَ في الإغضاءْ.

ها بَيْتي يتحرَّرُ مِني وأنا أمضي عَنْهُ
مُرْتَحِلاً دونَ رجوعٍ مُتَّصِلاً بمسافاتٍ
يتحوّلُ فيها الناسُ إلىٰ أسرابٍ هائلةٍ
من أسماءْ.

طَهَ حُسَين

- 1 -

المَجَرّاتُ رحيلٌ في ظلامٍ ، والمَجَرّاتُ نُفُوسٌ.. كُلُّها تَحْتَ اسْوِدادٍ لا يُبالِي بضياعِ النورِ في سِحْرٍ رهيبٍ من مسافاتٍ ، وها أنتَ حضورٌ مُمْعِنٌ في لَيْلِهِ المَسْكونِ بالأسماءِ تَحْيا في ارْتِحالٍ دائمٍ نحو المعاني.

قَبْلَ أنْ تصبحَ في الدنيا صَبيًّا
أخْرَجَتْكَ الشمسُ عن أحوالِ مَسْراها .
بهذا صارتِ الألوانُ والأشياءُ ذِكْرَىٰ
تتلاشَىٰ ، وبهذا سَيَصِيرُ الكونُ أصواتًا
وبالأصواتِ أحسَسْتَ بدِفءِ الأهلِ ،
والحزنِ ، ومَكْرِ الناسِ .. بالأصواتِ
لاحَتْ مِصْرُ مِنْ حَوْلِكَ تَحْيا في
المَراثِي.

ها هيَ الأيامُ تأتي بحكاياتِ القُرَىٰ .. ناسٌ تَرَىٰ الجِنَّ ، وجِنٌّ مَنْ رآها ظَنَّها ناسًا ، ونهرٌ تَخْتَفي في قاعِهِ دُنْيا وأجناسٌ فَهَلْ حاولتَ أنْ تمضي إليهِمْ أَمْ خَشِيتَ النهرَ إذْ لاحَ إلىٰ قلبِكَ ألغازًا من الماءِ ، ولاحَتْ ناسُهُ شَوقًا إلىٰ ناسِ البراري ؟!

كيف أَقْدَمْتَ عَلَىٰ الدنيا حَفِيًّا وجريئًا ؟! قد تناسَيْتَ ازْوِرارَ البعضِ عَمَّنْ لا يَراهُمْ ، وتَلَفَّتَّ كَمَنْ يَبْحَثُ عن شيءٍ فجاءتْكَ الأماني.

سايَرَتْ نَفْسُكَ دهرًا هو خِلٌّ خائنٌ ... ماشَيْتَ دنيانا صَبورًا طامحًا تَنْسابُ للألفاظِ مَشْغوفًا فناداكَ الذي ناداكَ أنْ تُرْسِلَ نَبْضًا وشُجونًا تَتلاقَى بالتواريخِ الخَوالِي.

يا لها مِنْ نَشْوَةٍ تَحْوِي دموعًا وشَذًى تلكَ الكتاباتُ كأنَّ السُّهْدَ فيها ، وكأنَّ الشِّعْرَ طيفٌ ساكنٌ فيها .. تَقَرَّبْتَ مِنَ الناسِ وأنتَ العائِشُ العابِرُ في ذاكَ التَّنائي.

مِنْ أحـــادِيـــثِـــكَ لَـــمْ أَخْـشَ مَـفـــازاتٍ ،
ولا .. لَـــمْ أخْـشَ أن أحـيـــا ســنـــيـــنًا
بـــيـــن أعـــرابٍ ، غـريـبـًا عـنـد أغـرابٍ .
هناك الشِّعْرُ يُـفْـضي لسـرابٍ بَـعْـدَهُ
مـــاءٌ قـلـيـلٌ ثُـمَّ يـأتِـي الـلـيـلُ لا يَـــدْرِي
بـأنَّ الـشـمـسَ قـد ضـاعَـتْ وأنـي قـد
تناسَيْتُ اخْـتِـفـائي وضَياعي.

إنـنـي الـشـاعـرُ والـلـيـلُ دَلـيـلي ..
تَـلْـتَـقي فيـهِ مسـافـاتٌ ، وتَـنْسـابُ
نُـفُـوسٌ لنُـفُـوسٍ .. يَخْـتَـفي البَدْرُ قليلاً
في غـيـومٍ ثم يُـلْـقِـي بـعـضَ أنـوارٍ
عَـلَـى العشـاقِ في إسـرائـهـا ، والـنـاسُ
فـي الأحـلامِ قـد تَـهْـرُبُ من أحـوالِ
دُنْـياها فـتَـمْـضِـي من نُـجُـومٍ لـنُـجُـومٍ .
إنَّهُ الليـلُ دَليلي وضِيائي.

غَيْرَ أنَّ الشِّعْرَ مَرْهونٌ بصَفْوِ الروحِ ، والروحُ التي تَسْكُنُني قد خانها مَنْ خانها فاخْتَبَأَتْ في صَمْتِها لَيْسَتْ تَرَىٰ في الليلِ غَيْرَ النارِ إذ تَكْشِفُ أنيابَ الأفاعِي.

كُلَّما أَسْرَفْتُ في اليأسِ تَلَمَّسْتُ معانيكَ فضاعَتْ وَحْشَتي .. أنتَ تُرِيني أين أمضي وبهذا أُبْصِرُ الأشياءَ مِنْ حَوْلي ، وأبدو سائرًا نَحْوَ ضَميري حيث أشواقي ، وأسراري ، وصَمْتي ، واضْطِرابي.

- 2 -

أنتَ مَنْ أَدْخَلَني سِجْنَ المَعَرِّي.

ذاكَ مَنْ حَوَّمَ في الآفاقِ بالروحِ شَريداً فأتاهُ الشِّعْرُ أسرابَ ضبابٍ ، ويَقيناً لَمْ أَجِدْ فيهِ يَقيناً . إنّهُ بَعْضٌ من الأوهامِ ، والخوفِ ، وآلامِ التَّمَنِّي.

لَمْ تَـلُـمْـهُ أنَّهُ اخْـتـارَ بأنْ يَحْـيا قَصِـيًّا حـائـرًا في بَـيْـتِـهِ فازْوَرَّتِ الأقـدارُ عَـنْـهُ ، والصداقاتُ اخْـتَـفَـتْ عن قَـلْـبِـهِ ، والنـاسُ ! أين النـاسُ ؟! لَمْ يأنَسْ بِـهِم . ظَلَّ حبيسًا يُـدْخِلُ الألفـاظَ في الألفـاظِ في صَـبْـرٍ فجـاءَتْـنا معانـيـهِ بها نَـفْـعٌ قليلٌ ، ونقوشٌ ... إنَّـهُ قدْ ألْـزَمَ النَّـفْـسَ بِـكَدٍّ ليس يُـجْدِي .

لو أتَـتْـهُ امْـرَأةٌ حافِلَةٌ بالوَجْـدِ فانْسابَتْ بِـهِ وانْـتَـشَـرَتْ في نَـفْـسِـهِ لانْجابَـتِ الأشـبـاحُ والأمـواتُ عن أشعـارِهِ ، ثُـمَّ اخْـتَـفَى السُّخْطُ عن الصـوتِ الذي كـان حَـرِيًّا أن يُـغَـنِّـي .

لو أتَتْهُ لَرَأَى الدنيا ائْتِلاقًا
لا عُبوسًا ، ومياهًا لا سرابًا ، وسهولاً
لا سراديبَ بها الريحُ تُدَوِّي .

لَسْتَ مِنْهُ .. إنَّهُ لَمْ يَعْرِفِ العشقَ
فلا لومَ عَلَيْهِ حِينما اسْتَحْضَرَ
ألفاظًا غِلاظًا مِنْ صحارِي البَدْوِ ،
واسْتَأنَسَ بالمهجورِ مِنْها .. لَمْ يَحُسَّ
الشامَ ، والسِّحْرَ الذي فيها ، وأسمارَ
مُريديها ، وأمطارًا أَتَتْ شُبَّاكَهُ والماءُ
حُبٌّ ... لَمْ يَحُسَّ الشَّجْوَ في الأسحارِ
يَسْرِي .

أنتَ لَمْ تَحْفِلْ بغَيْرِ اللؤلؤِ الكامِنِ
في الألفاظِ فاخْتَرْتَ مِن الليلِ
نُجُومًا ، ومِن الآلامِ أنوارًا فجاءتْكَ
المسافاتُ بلادًا لا قبورًا .. إنَّ تَرْحالَكَ
نَأْيٌ عن أناشيدِ المَعَرِّي .

لَسْتَ مِنْهُ .. يا لَهُ زُهدًا كَذوبًا
أن يخافَ المَرْءُ دُنْياهُ فَيَأْوِي
للتَّشَكِّي .

أنتَ مَنْ أوحَى لقلبي أن بعضَ
الزُّهدِ أمجادٌ ، وبعضَ الزُّهدِ يُفْضِي
للتَّدَنِّي .

زائـرًا جـئـتُ لـيـالـيـكَ .. أُنـاجـيـكَ ،
وأُدْنِـي بعضَ أنغامِ معانيكَ لأشعاري
ولَـيْـلِي .

أحمـلُ النـارَ التي أهدَيْـتَـها لـلـنـاسِ
أُذْكِيها ولا أَخْشَى إذا ما أحرقَـتْني ؟

قـد تَـرَانـي مُـسْـرِفًـا فـي الـبَـوْح
لا أُخْـفـي جُـنوحِـي غَـيْـرَ أنّ الروحَ لَـمْ
تَـجْـنَحْ قليلاً أو كثيرًا للتَّـجَـنِّـي .

- 3 -

أَجْـهَـدَتْـني فَاعِلاتُـنْ فَـلَـها أَسْـلَـمْـتُ نَـفْسِـي باحـثـًا عن مُـبْـصِـرٍ حَـرَّرَ مَـنْ لا يُـبْـصِـرُونْ .

عَـلَّـها خـافَـتْ مِنْ الأقـدارِ ، مِنْ أَحْـوالِ دُنْـيـاكَ ومِـنْ إسْـرائِـكَ الـدائـمِ في الأيـامِ يـا روحـًا قـريـبـًا وبـعـيـدًا .. عَـلَّـها لَـمْ تَـتَـحَـمَّـلْ بـعـضَ أسـرارِ الرحيلْ .

أنتَ في التَّـرْحالِ تَـبْدو تائهًا يُـصْغي إلى الشَّطِّ البعيدْ.

قد مَدَدْتَ الكفَّ للريحِ ، وكان البحرُ أصواتًا .. لقد صرتَ أسيرًا للهَديرْ.

ضاعَ مِنْكَ القَلْبُ أشواقًا لأنوارِ فَرَنْسا .. هل تساءلتَ مَتَى قد جاءَ هذا البحرُ للدُّنْيا ؟ وكيف الماءُ يُفْضِي للحضاراتِ ؟ وهل ناسُ الحضاراتِ مَلاذُ الحالمينْ ؟

كانتِ الآفاقُ تَأْتِيكَ وتَنْسابُ بعيدًا ، والرؤى تَعْبُرُ في الأجْواءِ بعضًا من عباراتٍ تَراها .. والسماواتُ اتِّصالُ بالسَّدِيمْ .

كُنْتَ في التَّرْحالِ مَنْسِيًّا ومسحورًا ، ومِنْ حَولِكَ آمادٌ مِنَ الألوانِ إذ تَعْبَثُ بالأضواءِ ، والكُلُّ اتِّصالٌ بسَحابٍ وظِلالٍ .. هي حالاتٌ من البَهْجَةِ تَسْرِي ثُمَّ تُنْسَى في الغروبْ.

أنتَ تَمْضِي لأُناسٍ غابَتِ الأوهامُ عَنْهُمْ . سوف تنجابُ الخُرافاتُ ولَنْ يَبْقَى لَدَى قَلْبِكَ مِنْها غَيْرُ أصداءٍ تَحُومْ.

ها هنا قد يَجْهَرُ البعضُ بأنَّ الأرضَ لا شيءَ بهذا الكونِ ، أنَّ الخَلْقَ لا يَبْدَأُ من آدمَ ، أنَّ البحثَ عن بعضِ يَقينٍ في أقاصيصِ القُدَامَىٰ هو خَوْضٌ في أباطيلَ تُسَمَّىٰ باليَقينْ.

أَجْهَدَتْني فَاعِلاتُنْ . كُلَّما أَرْسَلْتُها نَحْوَكَ فَرَّتْ ثمَّ عَادَتْ ، واخْتَفَتْ في داخِلي نَبْضًا خَفِيضًا ، وأنا مُرْتَبِكٌ أَبْحَثُ عن أحزانِكَ الكُبْرَىٰ فهل بَحْثِي عن الأحزانِ خَوْضٌ في الجنونْ ؟!

- 4 -

قد أَحَبَّتْكَ فقيراً لا يَراها ، وغريباً
لن يَراها .. بَحَثَتْ فِيكَ عن المَعْنَى
فصارَتْ في مَدَى عُمْرِكَ أنغاماً
ومَعْنَى .

ها بساتينُ أحاطَتْ بِكُمَا والعَصْرُ
مِثْلُ الليلِ مملوءٌ ظِلالاً ، وابْتِهاجًا
غامضًا يَمْضِي ويَنْأى .

قُرْبُها أهداكَ أحلامًا ولَوْحاتٍ وأشجارَ
سُهُولٍ فَتَبَلَّلْتَ بأصواتِ الينابيعِ ،
وصَمْتِ الزهرِ فاشْتَقْتَ ربيعًا ليس
يَفْنَى .

رُبَّما تَمْضِي وحيداً نحو أنوارِ
أثينا .. رُبَّما اجْتَزْتَ الصَّحارَىٰ
قاصداً مَكَّةَ والقرآنُ يأتيها فَيَمْضِي
في حِماها يَتَحَدَّىٰ البَطْشَ فيها ..
رُبَّما رُحْتَ فَتِيًّا خائضًا في الفتنةِ
الكُبْرىٰ ولكنَّكَ بَعْدَ السَّعْيِ في تِلْكَ
المسافاتِ تَرَىٰ نَفْسَكَ إذ تَأْوِي
إليها .

مُنْهَكًا تَرْجِعُ مِنْ فَيْضِ المعاني
نَحْوَ أنغامٍ ومَعْنَىٰ .

- 5 -

جاءَكَ الشَّكُّ رَسولاً للبَصِيرَهْ .

ومَعًا قَدْ سِرْتُما سَعْيًا إلىٰ أَزْمِنَةٍ أُخْرَىٰ بِها قَدْ هَيْمَنَ الغيبُ عَلَىٰ الناسِ قرونًا .. إنَّهُ روحُ الحضاراتِ القديمهْ.

إنَّهُ هذا الذي يَحْيا مَهِيبًا ومُخِيفًا في الأعالِي . خَلَقَتْهُ الناسُ في شَوْقٍ إليهِ ثُمَّ عاشَتْ في يقينٍ أنّهُ خَالِقُهُمْ فانْسابَتِ الدنيا جَمِيعًا في أساطيرَ عَجيبهْ.

إنـهـا فَـوْضَـى من الأشـبـاحِ والأوهـامِ
أغرتْكَ بأنْ تَحْكي الحقيقهْ.

تُـقْـتَ لـلـبَـوْحِ فَـعـادَيْـتَ كُـهـوفًـا
أَرْسَـلَـتْ نَـحْـوَكَ فَـيْـضًا مِنْ خفـافيـشَ
رهيبهْ.

آهِ قد كنتَ جَسُورًا ووحيدًا والخفافيشُ
رهيبهْ.

جَـمَّـعـوا أجـسـامَـهـم أَلْـفًا فـأَلْـفًا في
اصْـطِـخـابٍ أَسْـوَدٍ حتى اخْـتَـفَى النـورُ
جـمـيـعًا .. مـا الـذي تَـفْـعَـلُـهُ يا أعـزلُ
فـي أرضٍ تَـمـادَتْ في الـخـرافـاتِ
العَـتِـيقَـهْ ؟

قد تراجعتَ فأدركْتَ هوانَ البُعْدِ
عن شَوْقٍ تلاقَتْ فيهِ أحلامُ
كثيرهْ .

قد تَباعَدْتَ ظِلالاً تَحْتَ أشجارٍ
بعيدهْ .

غَيْرَ أنَّ النورَ يُخْفِي نَفْسَهُ
حيناً ولا يَفْنَى، فلا تَأْسَ فإنّ
النورَ ميعادُ سيأتِي بَعْدَ أعوامٍ
قليلهْ .

- 6 -

قد مَضَتْ بي هَمَساتٌ نحو حُلْمٍ:
أَتَمادَىٰ نَحو لَيْلٍ تاركًا خَلْفي
بلادًا مِنْ غُيومْ .

سِرْتُ في صَفْوٍ يؤدي نَحْوَ
صَفْوٍ .. ها مُحَيَّاهُ .. نَعَمْ إني أراهُ ..
كان في إسرائِهِ بالنَّفْسِ أنوارَ
المكانْ .

نَـفْـسُــهُ تُرسِـلُ أطـيـافًا إلىٰ الآفـاقِ ..
أطـيـافــًا تَـرَىٰ الأشـيــاءَ ، والأسـرارَ ،
والأرواحَ إذ تَــفْــنَــىٰ ، تَــرَىٰ شَـجْـوًا ،
وأنغـامــًا ، ونــارًا ...إنهـم ما قـد تَـبَــقَّىٰ
من ضَـيـاعِ الـنــاسِ في بِـيْـدٍ تُـسَـمَّـىٰ
بالزمانْ .

بَـعْـدَ سـاعـاتٍ طِـوالٍ أو قِـصـارٍ
تَـرْجِـعُ الأطـيـافُ أصـواتًـا لـكي تُـمْـلِـي
عَـلَى وِجـدانِـهِ ما سـوفَ يُـمْـلِـيْـهِ
عَـلَـيْـنـا ، وأنا مازلتُ في الحُلْمِ على
الحُـلْـمِ حَـريـصًا ، والـثـواني أوهَـمَـتْـنـي
أنها سوف تَدُومْ .

كانتِ الأطيافُ تأتي ثُـمَّ تَـمْـضي وهْوَ
لا يَـسْـمَـعُ أنفاسِي ولا يَـدْرِي وجـودي ..
إنَّـهُ في حُـزْنِـهِ مُـسْـتَـغْـرِقٌ ، والحُـبُّ
فـي قـلـبـي بـكـاءٌ وسـلامْ .

2007

نجيب محفوظ

- 1 -

نُـفُـوسٌ تَـسِـيـرُ خِـلالَ غَـمـامٍ ، وأيـامُ مِـصْـرَ اضْـطِـرابٌ ولا شـيءَ فـي الـكـونِ حَـوْلَـكَ غَـيْـرُ الـمَـديـنـهْ .

وكـلُّ الـذي أنـتَ تَـعْـرِفُـهُ مِـنْ أُنـاسٍ وفَـلْـسَـفَـةٍ وهُـمـومٍ سَـتَـسْـجِـنُـهُ فـي المَدينـهْ.

دَخَلْتَ إلىٰ اللغةِ العربيةِ مُقْتَحِمًا ثُمَّ أَغْوَيْتَها . إنَّها تَتَمَلَّصُ مِن حِصْنِها ورَصانَتِها ثُمَّ راحتْ تُغامِرُ إذْ أَفْصَحَتْ عن ضَميرِ الفُتُوَّاتِ ، والعابرينَ السُّكارَىٰ، ولَيْلِ البَغايا ، وحُزْنِ النُّفُوسِ الفَقيرهْ.

وحتىٰ الديانَاتُ عَبْرَ تَدَفُّقِها في القرونِ سَتُحْشَرُ في حارةٍ ، والرموزُ مَلاذٌ ولَيْلٌ يُخَبِّئُ أنوارَ شمسٍ قريبهْ.

لقد راحَ مَنْ يَبْتَغي العِلْمَ يَقْتُلُ حارسَ بَيْتٍ عَتيقٍ يعيشُ بِهِ الجَبلاوي ، وصار الطريقُ إلى سَيِّدِ الرُّحَماءِ يُؤَدِّي إلى الموتِ شَنْقًا ، وأمَّا المَسَرَّاتُ في جَلَساتِ الدُّخَانِ فَمَحْضُ ضَجيجٍ يُدارِي الذي خَلْفَهُ مِنْ وجُوهٍ حزينهْ.

وها هو لِصٌ تَحَوَّلَ مَرْثِيَّةً . قَدْ تَغَلْغَلَ فِيْهِ السَّعِيرُ فَطارَدَ بَعْضَ الكلابِ ... طَرائفُ تلك العُهودِ قَدِ امْتلأتْ بالكآبَهْ.

ومَنْ خانَ مِصْرَ بها قد جَنَى ثَرَواتٍ وجاهًا كذوبًا عَلَى قَدْرِ إسرافِهِ في الخيانهْ.

شَعَرْتُ ظُنُونيَ قَدْ صَدَقَتْ إذ رأتْ في زمانِ الحرافيشِ أفئدةَ الغُرَباءِ ، وبَعْضَ هُمومِ اليَهودِ وأشواقِهِمْ . ها أساطيرُهمْ مُزِجَتْ بنُفُوسٍ حَيارَى وأنتَ تُزَلْزِلُ أحوالَهم بالمآسي عَطوفًا عليهم بتِلكَ الدروبِ العَتيقهْ.

بأعماقِهم دَرَجاتٌ مِنْ النارِ .. كلُّ النُّفوسِ جُموحٌ ، وكلُّ زُقاقٍ مَكِيدَهْ.

جَعَلْتَ التَّكَيَّةَ مَأْوَىٰ الشَّذَىٰ والأناشيدِ. لا بابَ يُفْتَحُ فيها لِمَنْ يَلْجَئُونَ لأسوارِها . إنَّها مَلَكُوتٌ مِنْ العُزْلةِ الأَبَدِيَّةِ لا تستطيعُ سَماعَ الذي يَسْتَغِيثُ بِها . قَدْ تَراءَتْ مكانًا .. أكانَتْ مكانًا ؟! أَمِ الوَهْمُ جَسَّدَها والحياةُ مَكِيدَهْ ؟

لقد حاصرتْني المصائرُ تِلْوَ المصائرِ حَتَّى إذا ما تَخَلَّصْتُ مِنْ دَفَقَاتِ الحكاياتِ رُحْتُ بقلبي بَعيدًا ، وطَمْأَنْتُ نَفْسي عَلَى أنَّهم لَمْ يَكُونوا سِوَى عابرينَ خِلالَ روايهْ .

رأيتُ ارْتِحالَكَ في ظُلُماتِ الشوارعِ يَبْعَثُ ناسًا تَرَى في المَلَذَّاتِ سِرَّ النجاةِ . تَلاشَى الشُّعورُ لديهم بوَهْمٍ يُسَمَّى ذُنوبًا ، بسجنٍ يُسَمَّى الخَطيئهْ .

حياتُكَ تَنْحازُ في شَغَفٍ لأماكِنَ تَألَفُها . إنَّ عُمْرَكَ فيها ولَسْتَ تُبارِحُها ، والشُّخوصُ الذين أَرَدْتَ لنا أَنْ نراهُم حَكايا يعيشونَ فيها ، ولَسْتَ تُحِسُّ لَهُمْ بوجودٍ إذا غادَروها . كأنَّ ذَهابَكَ عَنْها يُضَيِّعُ مِنْكَ البَصيرهْ .

وحَتى الليالي التي قد أَتَتْ بَعْدَ تِلكَ الليالي التي أَنْقَذَتْ شَهْرَزادَ فَقَدْ كنتُ أَشْعُرُ فيها روائحَ مِصْرَ ، وكان العفاريتُ والناسُ يَسْعَوْنَ بَيْنَ حدائقِها فتُحِيطُ بهم روحُها ، وغُموضٌ أَحَبُّوهُ في نهرِها ، ووساوسُ - بَعْدَ ذَهابِ الظلامِ - تَفِرُّ وتَسْكُنُ في ظُلُماتِ خَميلهْ.

تَـراءَىٰ لَـنـا شَـهْـرَيـارُ كـئـيـبـًا بـغَـيْـرِ أساطـيـرَ . قَـدْ حاصَـرَتْـهُ حيـاةُ القصـورِ التـي عَـزَلَـتْـهُ عـن الحالـمـيـنَ يُـحـاولُ أنْ يَـتَـخَـفَّـفَ مِـنْ ظُـلْـمِـهِ باللـجـوءِ لـبَـعْـضِ الأسَـىٰ غَـيْـرَ أنَّ النُّـفـوسَ التي لَـوَّثَـتْـهـا الجرائـمُ تُـصـبـحُ مِـثْـلَ المَـرايا التي انْـكَـسَـرَتْ تَـتَـشَـوَّهُ فـيها الحقيقةْ .

أحقًّا أنا الآن أكتبُ هَذي القصيدهْ ؟!

وأرجعُ نَحْوَ السنينِ التي جَعَلَتْني أُراقِبُ ناسَ الرواياتِ مُنْدَمِجًا برؤاهُمْ وأقدارِهِمْ، وخطايَ تخافُ من السَّيْرِ خَلْفَ النساءِ اللواتي مَرَرْنَ خلال البيوتِ القديمهْ؟!

تَسَلَّلْتُ حَتى رجَعْتُ إلى زمنٍ لَمْ أَعِشْهُ. مَشَيْتُ بِهِ لأراكَ فَتِيًّا تُعاهِدُ نَفْسَكَ أنْ تتلاشَى فِدًى للكتابهْ.

- 2 -

أراكَ تُفَرِّقُ بَيْنَ الظِّلالِ وبَيْنَ الظِّلالِ
بذاكَ الغروبْ .

فتَسْأَلُ أسئلةً سُئِلَتْ مِنْ قرونٍ ،
وعُمْرُكَ حينئذٍ مُسْرِفٌ في الشبابْ .

هلِ اللهُ مُنْفَصِلٌ في سماواتِهِ عَنْ مَسِيْرَتِنا أم تُراهُ انْدِماجًا بكلِّ الوجودِ فصارَ الوجودُ هو اللهَ أَمْ أنَّهُ أَمَلُ الخائفينَ . يخافونَ ظُلْمًا ، يخافونَ مَوْتًا فلاذوا بمَنْ قَدْ رأَوْهُ يُخَفِّفُ عنْهُمْ ، وينصرُهُمْ في الحياةِ ، ويَبْعَثُهُمْ بَعْدَ أنْ يُدْفَنوا في الترابْ ؟

لقد أَيْقَنوا أنَّ ثَمَّةَ ماءً خلالَ السرابْ .

وها أنتَ تَنأى بعيداً .. تَشَكَّكْتَ فِيما رآهُ القُدامى يقيناً فصرتَ عَكوفًا عَلَى النـاسِ لا البحثِ عمَّا وراءَ السحابْ .

ومَنْ في حَكاياكَ يُنْصِتُ للغَيْبِ أو يَحْتَمي بالخوارقِ تَجْعَلُهُ مَثَلاً للحماقةِ والسَّعْيِ نحو العذابْ.

نَعَمْ ليس ثَمَّةَ قطرةُ ماءٍ بذاكَ السرابْ .

- 3 -

أراني هُنالكَ حيثُ صِبايَ يُسارِع
في لَهْفَةٍ لِنِهاياتِهِ ، ثُمَّ ها ... ها أنا
في شبابٍ تَباطَأَ مُقْتَرِبًا مِنْ
مدارِكَ ، مُتَّصِلاً بلياليكَ ، والفتياتُ
اللواتي تَلَكَّأنَ في صَفحاتِكَ حَوَّلْنَ
جَمْري ورودًا ، وأوهامَ نَفْسِي هُيامًا .
كأني بدأتُ بِهِنَّ اشْتياقي.

كِـتـابٌ وراءَ كِـتـابٍ أَرُوحُ إلـيْـهِ
فـيَـنْـهَـبُ مِنِّي الليالي .

كثيرٌ مِنَ الناسِ جاءوا إلىٰ غُرفـتـي .
تَـرَكـوا لـيَ أيـامَـهـم ومَـضَـوْا بَـعْـدَ أنْ
أخَـذوا حَـيْـرَتي وبُكائـي .

لقـد مَـرَّتِ السَّـنَـواتُ عـلـيـكَ ومَجْـدُكَ
يـزدادُ . ما كـنتُ أحْسَـبُـني سأكونُ إليكَ
جَليـسًا ، وأُرْسِـلُ نحـوكَ بَعْضَ الرُّؤىٰ
مُـفْـصِـحًا - والرُّؤىٰ لا تقولُ كلامًا - بـأنَّ
عـذابَ شُـخُـوصِكَ مأوًى يُخَـفِّـفُ عَـنِّـي
عذابي.

أَخَذْتُ كثيراً من النارِ مِنْكَ رَفيقاً أمينًا خِلال ارْتِحالي .

وها أنتَ تَبْدو أمامي تُجالِسُنا وكأنكَ لَسْتَ الأعاجيبَ ، والسِّحْرَ ، والعَبَقَ المُتَباطِئَ في ليلِ مِصْرَ ، ووجْهُكَ يَمْكُثُ في طِيبَةٍ لا يفارقُها . تَتَراءَىٰ المحبَّةُ فيهِ كأنكَ تُومِئُ أَنَّ التَّكَبُّرَ مَفْسَدَةٌ ، وتُرِينا تَهافُتَ مَنْ وَجَدوا لَذَّةً في التَّعالِي .

أَلَسْنا مِن الناسِ ، والناسُ بَعْضُ مَعانٍ
تَزولُ مع السَّنَواتِ ؟ أليس الزمانُ
يُحابِي بَنِيهِ مِن العائشينَ ، ويَنْسَى
رُوَيْدًا رُوَيْدًا أُناسًا قَدِ انْدَثَرَتْ في
أراضٍ قَدِ امْتَلأتْ بأُناسٍ قَدِ انْدَثَرَتْ
في أراضٍ قَدِ ابْتَدَأَتْ بالينابيعِ قَبْلَ
ابْتِداءِ المعاني ؟

أليس الزمانُ هو الراحلَ الأبديَّ نكادُ نُعانِدُهُ حينَ نَكْتُبُ ما يتراءَى لنا خالدًا ؟ يالنا واهمينَ فكلُّ الكتاباتِ تَحْمِلُ أعمارَها . سَيَمُرُّ عليها الزمانُ فَتُنْسَى . عَلَيْهِ بغَيْرِ أسًى أنْ يُفارِقَنا . إنَّهُ السنواتُ جَميعًا ، ونَحْنُ وُجُودٌ يُحِسُّ الثواني .

فـنـاءٌ يُـحـاصِـرُنـا بقوانِـيـنِـهِ فَـتَـلـوحُ مصـائـرُنـا مِنْ مَصيـرِ الشُّـمـوعِ ، ومِنْ حولِـنـا الكَوْنُ تَـبـدو الكـواكِـبُ فـيـهِ هَـبـاءً ، وتَـمْـضـي نِـهـايـاتُـهُ تـتـبـاعَـدُ نَحْـوَ نِـهـايـاتِـهـا .. فلماذا التَّعالِي ؟!

غَدَوْتُ إليكَ جَـلـيـسًا تحادِثُـنـي وتَـرانـي ، ونَـفْـسـي تُـحَـدِّثُـنـي أنَّ قَلْـبَـكَ لـيـس يَـرانـي .

- 4 -

حياتُكَ أخْضَعْتَها لقوانينَ راسِخَةٍ .. لَكَأنكَ قُلْتَ لقلبِكَ " لا .. لا تُجازِفْ وإلا أضَعْتَ كثيراً مِن العُمْرِ ، والعُمْرُ ما عُدْتَ تَمْلِكُهُ مُنْذُ أعْطَيْتَهُ هِبَةً للكتابهْ " .

تَقَرَّبَ مِنْكَ كثيرٌ مِن الخاملينَ فُضولاً وجَهْلاً بِقَدْرِكَ ما وَجَدوا في مُحَيَّاكَ لَوْمًا ، وما أنتَ مَنْ يستطيعُ الجَهامَهْ .

تُسايِرُ أسئلةً تتهرَّبُ مِنْ سُخْفِها بكلامٍ قليلٍ ، وصمتٍ كثيرٍ ، وثَمَّةَ أسئلةٌ ... كَلِماتٌ مُراوِغَةٌ سَتُجيبُ بِغَيْرِ إجابهْ .

ولابدَّ أنْ تَسْتَعينَ ببعضِ الأكاذيبِ خَوْفًا مِن الهَمَجِ الغافلينَ حُماةِ الرجوعِ لِظُلْمِ القبيلهْ .

وما هذهِ الحَشَراتُ التي تَتَقَرَّبُ مِنْكَ وأنتَ تَرىٰ قَدْرَهُمْ ، وتُسالِمُهُمْ ؟ قد أَغَظْتَ مُحِبِّيْكَ إذ لَمْ تحاولْ ولَو مَرَّةً أنْ تَهُشَّ ذُبابهْ .

لَعَلَّ ضَميرَكَ يَحْيا هنالكَ فِي حِكْمَةٍ لستُ أَدْرِكُها . أنتَ لا تَتأفَّفُ مِنْ هؤلاءِ . بماذا أُشَبِّهُهُمْ والبلادُ تَموتُ بأقلامِهِمْ كلَّ يومٍ ؟! كأنكَ لا تستطيعُ ابْتِعادًا فأنْقَذْتَ نَفْسَكَ مِنْهُمْ ببعضِ المديحِ ، وبعضِ الصداقهْ .

وأمَّا كِبارُ الطُّغاةِ فقد مَكَثوا في نُعاسِ القُصُورِ إلىٰ أنْ أفاقوا عَلَىٰ خِزْيِهِمْ بَعْدَ أنْ كَرَّمَتْكَ الحَضارهْ .

وهـا أنـتَ يا مُـرْشِـدي ، ونَـديـمَ فـؤادي
تُـصـافِـحُ ذاكَ . رَأَتْـكَ البـلادُ جـمـيـعًا
تُـرِيْـهِ امْـتِـنـانًا ووَجْـهًا بَـشوشًا فَـمـا
كانَ أَحْوَجَـنا لقليـلٍ مِنْ السُّخْـطِ تَرْمِـيهِ
في وَجْـهِـهِ أَمْ تُـراكَ تُـصَـدِّقُ حَـقًّا
أكاذيبَ هَذي الحَفاوهْ .

حـيـاتُـكَ كـانـت قـوانـيـنَ راسِـخَـةً :
كُـنْ جَـسـورًا خـلالَ الروايـاتِ أمَّا
إذا رُحْـتَ لـلـنـاسِ حَـقًّا عَـلَـيْـكَ
اجْتِنابُ الجَسارَهْ .

- 5 -

إذا الليلُ جاءَكَ لَمْ تَنْخَدِعْ بِالغُموضِ الذي يَدَّعِيهِ . ألسْتَ الذي كان يَشْعُرُ بالناسِ إذْ تَتَنَفَّسُ نائمةً في ظلامِ البيوتْ ؟

كأنكَ تُوقِظُهُمْ ثُمَّ تأخذُهُمْ لحياةٍ أَرَدْتَ لَهُمْ أنْ يَسِيْروا بِها . قد أخذْتَ الأسَى مِنْ ضمائِرِهِمْ ، ثُمَّ أرْجَعْتَهُ بَعْدَ أنْ مازَجَتْهُ رؤاكْ .

دَفَعْتَ إليهمْ بأحزانِ أفراحِ أشباحِ أسرارِ نَفْسِكَ . ها أنتَ تَكْتُبُهُمْ ثُمَّ تَتْرُكُهُمْ عائِشينَ يَخُوضونَ في الصَّفَحاتْ .

ويَمْضونَ نَحو قلوبِ مُحِبِّيكَ لا شيءَ يُوقِفُهُمْ ... آهِ ما أحمقَ الظالمينَ الذينَ أرادوا لَكَ الطَّعَناتْ .

تَساءَلْتُ ما كلُّ هذا الغروبِ ، وأينَ يَضِيعُ الضياءْ ؟

وهـل ذلـك الصَّـمْـتُ يَـحْـمِـلُ صَـوْتَ خُـطـاكْ ؟

أَسِـيـرُ وأحـلامُ قَـلـبـي تُـسـايِـرُنـي فإذا بي أراكْ.

خِـصـالُـكَ تأتي من الـنـهـرِ .. يَـنْـهَـبُـهُ الـنـاسُ عَـبْـرَ الـمـسـافـاتِ لـكـنَّـهُ الـنـهـرُ مَـنْ يَـغْـفِـرُ الـهَـفَـواتْ .

أراكَ وعَـيْـنـاكَ مُـغْـمَـضَـتـانِ على حُـبِّ هذا الوجودْ .

وحولَكَ فَيْضُ مُحِبِّيكَ إذ تتلاقَى
قناديلُهُمْ حولَ وجهِكَ ... هل أنتَ مَنْ
قالَ لي إنَّ كلَّ شهابٍ مَضَى لن
يَعُودْ ؟!

وأَوْحَى لنا أنَّ مِصْرَ التي حَوْلَنا
تَتَشَبَّثُ بالسِّحْرِ والحُبِّ في روحِها ،
وتحاولُ ألا تموتْ ؟

نعم أنتَ ... أنتَ الذي كان يَشْعُرُ
بالناسِ إذْ تَتَنَفَّسُ نائمةً في ظلامِ
البيوتْ .

2007

المحتـــــوى

افتتاحية	3
الشِّعـــر - أربع حركات	11
صاحب الأشواق	37
أيمن عبد الفتاح	43
ســامح شــنوده	49
أحمد شوقى الخطيب	55
البيت المسكون	59
طَهَ حُسَـين	73
نجيب محفوظ	99

أعمال الشاعر عادل عزت

	تاريخ الطبعة الأولى
١- المتصوفون الشعراء في الزمن العصيب	1983
٢- اختباء النور	1988
٣- العرب القدماء	1990
٤- هواجس الشاعر المقتول	1990
٥- السبعة	2000
٦- ظلام المرسم	2006
٧- البيت المسكون	2009

دواوين الشاعر عادل عزت على الموقع

www.adelezzat.com

السلام للطباعة
ت : 22989714 - 22960665 -22978425
فاكس : 22989251